تلخيص الدرس الرابع عشر لمادة علوم القرآن

✸ النسخ في القرآن الكريم:

1) النسخ في اللغة :

الرفع والإزالة والإبطال.

تقول العرب: نسخت الريح الأثر؛ أي أزالته وأبطلته. فإذا كان شخص ماشيا في الصحراء، فيترك آثارا الأقدام، فتأتي الريح وتزيل هذا الأثر.

النسخ إذا أطلق يُراد به النقل: نسختُ الكتاب أي نقلته.

نسخ دون أن يحل شيء مكانه

مثال1: الريح عندما تنسخ الأثر لا يحل مكانه شيء، تبطله وتزيله بالكلية.

مثال2: عندما تنقل الكتاب، فإنه لا يخلو المكان الأول من المنسوخ، يعني الآن أنت تنسخ مقالة في مكان آخر فتنتقل، يعني الكلام أصبح موجودًا هنا وهنا، لكن لم يذهب من المكان الأول وانتقل للمكان الثاني.

نسخ بحيث إنه يحل شيءٌ مكانَه

مثال1: نسخت الشمس الظلَّ، يعني كان هناك ظل الشجرة، ثم جاءت الشمس وأزالت هذا الظلَّ وحلت محله الشمس.

2) النسخ في القرآن الكريم

قال العلماء: رفع الحكم المتقدم بحكم متأخر

تعريف الأصوليين للنسخ: رفع الحكم المتقدم بخطاب شرعي متراخٍ عنه.

عندما تقول: إن الله حكم بحكم ثم أبطله وجاء بحكم آخر، هل معناه أنه كان يجهل ثم علم المصلحة بعد ذلك فغيَّر الحكم؟ الجواب: لا.

إذا قلتَ إن هناك أحكاما قديمة في القرآن الكريم رُفعت وأبطلت وتوقف العمل بها، وجاءت بدلها أحكام جديدة يُعمل بها حتى اليوم.

❖ ما فائدة وجود الأحكام القديمة في القرآن؟

➢ مثال يبين الفائدة من ذلك

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة: 234]

الله يقول للمرأة التي يتوفى زوجها: اعتدِّي أربعة أشهر وعشرًا

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعاً إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: 240]

هذه الآية تخالف الآية الأولى، تقول للمرأة التي يتوفى زوجها: اعتدِّي سنة كاملة.

لو جاءت امرأة واستفتت مفتي، وقالت له: أنا توفي زوجي في حادث سيارة وأريد أن أعتد، فهل أعتد أربعة أشهر وعشرة أيام، أم أعتد سنة كاملة؟

سنقول لها اعتدي أربعة أشهر وعشرًا.

إشكال

قلنا في التعريف: رفع الحكم المتقدم بخطاب متأخر، وهنا المتقدم الآية أربعة أشهر وعشرًا، والآية التي جاءت بعدها في نفس السورة تقول سنة كاملة، فعلى نفس القاعدة يلزمنا أن تصير السنة هي الناسخة وليست المنسوخة

نقول: ترتيب الآيات ليس على حسب نزولها، لأن لو كان ترتيب الآيات على حسب نزولها لكانت عدة الحول هي الأولى، ثم تأتي بعدها الأربعة أشهر

وعشرًا.

لكن هنا الترتيب توقيفي، الله -سبحانه وتعالى- أمر النبي ﷺ بهذا الترتيب، والنبي ﷺ أمر الذين كتبوا الوحي بهذا الترتيب، فجاءت "الأربعة أشهر وعشرًا" قبل السنة.

وهذا دليل على أنه لا يستطيع الإنسان العادي غير العالم بهذه الأحكام أن يستخرج بنفسه الأحكام من القرآن الكريم؛ لأنه سيقع في مطبات ويأتي بمصائب؛ لأنه سوف يأتي إلى هذه الآية ويأخذ منها حكمًا، ولا يعرف ما الناسخ والمنسوخ، والمتقدم والمتأخر، فربما استحل الخمر.

❖ موضوع النسخ في قضية تحريم الخمر

أولا: في سورة النحل وهي سورة مكية، يقول الله -سبحانه وتعالى-: ﴿وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً وَرِزْقاً حَسَناً﴾ فوصف الرزق بأنه حسن، وسكت عن السكر وهو الخمر، ففهم العقلاء أن في هذا ذما للخمر؛ لأن الله لم يقل: تتخذون منه سكرًا حسنًا ورزقًا حسنًا. وإنما قال: ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً وَرِزْقاً حَسَناً﴾ فهنا كانت هناك فقط إشارات وتلميحات، والعرب تفهم التلميحات، ولذلك كثير منهم انتهى عن شرب الخمر بمجرد هذه التلميحات.

ثانيا: لما انتقل النبي ﷺ إلى المدينة أصبح في مجتمع مسلم أراد الله -سبحانه وتعالى- أن ينزع من نفوسهم هذه الخمر وحب الخمر، فقال الله -سبحانه وتعالى-: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ [البقرة: 219] هذه الآية ليس فيها تحريم للخمر، وإنما هي إشارة واضحة إلى قبحها وإثمها.

ثالثا: الناس يشربون الخمر، ثم يأتي وقت الصلاة فإذا به سكران، فقال الله -سبحانه وتعالى-: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء: 43] فضيق أوقات الشرب.

ولذلك يقول عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- ﴿اللهم بيّن لنا في الخمر بيانًا شافيًا﴾ لإن هذه الآيات كلها تجعل الإنسان في حيرة، نترك، ما نترك.

➢ تعتبر المائدة من أواخر السور، والآيات المنسوخة تجدها في المكي، ما نزل في مكة، أو في أوائل العهد المدني، والآيات الناسخة تجدها من أواخر ما نزل، ولذلك سورة المائدة من أواخر ما نزل، وكل الآيات التي فيها ناسخة، ولذلك الأحكام التي فيها مليئة، فيها تحريم الخمر، وفيها تحريم أشياء كثيرة.

رابعا: تحريم الخمر: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ [المائدة: 90]، إلى حد الآن ما هي محرمة، ﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾ هذا الذي حرمها، هذا الدليل الذي حرم شرب الخمر، كلمة ﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾، لأنه أمر بالاجتناب، والأمر المجرد عن القرائن يدل على الوجوب، وجوب الاجتناب..

➢ لما نزلت هذه الآية؛ يقول الصحابة -رضي الله عنهم-، ﴿رضي الله عن الأنصار وعن الصحابة، لما نزلت هذه الآية سالت شوارع المدينة بالخمر﴾ فكل واحد أخرج الخمر من عنده، دليل على أن الناس قبل هذه الآية لم يكن هناك دليل صريح على التحريم. لكن لما نزلت الآية الدالة على التحريم، كلهم أخرجوها من بيوتهم وسكبوها في الشوارع.

فهذه الآيات نُسخت وهي قوله تعالى ﴿فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ [البقرة: 219] وكذلك: ﴿لاَ تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾ [النساء: 43]

❖ أقوال العلماء في آيات العدة التي في سورة البقرة:

1. قال ابن العربي :

في كتابه "أحكام القرآن" في نسخ الآية التي في سورة البقرة: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً﴾

المسألة الأولى: في نسخها قولان:

الأول: أنها ناسخة لقوله تعالى: ﴿مَّتَاعاً إِلَى الحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ [البقرة: 240] وكانت عدة الوفاة في صدر الإسلام حولًا كما كانت في الجاهلية، ثم نسخ الله تعالى ذلك بأربعة أشهر وعشرًا، وهذا قاله الأكثر.

الثاني: أنها منسوخة بقوله تعالى: ﴿مَّتَاعاً إِلَى الحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ﴾ [البقرة: 240] تعتد حيث شاءت، روي عن ابن عباس وعطاء. والأصح هو القول الأول كما حققناه في القسم الثاني من الناسخ والمنسوخ على وجه نكتته على ما روى الأئمة في الصحيح، أن ابن الزبير قال لعثمان -رضي الله عنه- قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً وَصِيَّةً لأَزْوَاجِهِم﴾ نسختها الآية الأخرى، فلمَ تكتبوها؟ قال: يا ابن أخي، لا أغيِّر منه شيئًا عن مكانه.

وقد قال الأئمة: إن النبي ﷺ قال للفريعة بنت مالك بن سنان حين قُتل زوجها: ﴿امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله﴾. فتقرر من هذا أن المتوفى عنها زوجها كانت بالخيار، بين أن تخرج من بيتها، وبين أن تبقى بآية الإخراج، ثم نسخها الله تعالى بالآية التي فيها التربص، ثم أكد ذلك رسول الله ﷺ بأمره للفريعة بالمكث في بيتها، فكان ذلك بيانًا للسكنى للمتوفى عنها زوجها قرآنًا وسنة.

الشيخ:

هذا كلام رائع جدًّا لابن العربي المالكي الإشبيلي، المتوفى سنة 543 هجرية، وهذا الكتاب من أهم كتب أحكام القرآن.

يقول في الآية رقم 234، هذه الآية الصحيح أنها ناسخة للآية التي بعدها، وأن المرأة تعتد أربعة أشهر وعشرًا إذا تُوفي عنها زوجها، إلا إذا كانت حامل فوضعت حملها قبل هذه المدة، يعني امرأة تُوفي زوجها في حادث سير يوم الجمعة، وهي امرأة حامل في شهرها الأخير، فولدت يوم السبت، نقول: انتهت عدتها، ويمكنها أن تتزوج؛ لأن الغرض من العدة هو استبراء الرحم، فقد تكون المرأة حامل، فإذا مكثت أربعة أشهر وعشرة أيام؛ فإنه سيظهر إما أن كانت حاملا أو غير ذلك. لكن إذا كانت حاملا، وتوفي زوجها، فإنه إذا وضعت حملها تصبح بريئة الرحم، فهذه الحكمة.

2. قال الإمام ابن كثير :

قال الأكثرون: هذه الآية منسوخة بالتي قبلها، وهي قوله: ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً﴾[البقرة: 234]

قال البخاري: حدثنا أمية حدثنا يزيد بن زريع عن حبيب عن ابن أبي مليكة، قال ابن الزبير: قلت لعثمان بن عفان: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً﴾، قد نسختها الآية الأخرى، فلم تكتبها؟ قال: يا ابن أخي لا أغيِّر شيئًا منه من مكانه.

معنى هذا الإشكال الذي قال ابن الزبير لعثمان:

إذا كان حكمها قد نُسخ بالأربعة أشهر، فما الحكمة في إبقاء رسمها مع زوال حكمها؟ وبقاء رسمها بعد التي نسختها يوهم بقاء حكمها؟ فأجابه أمير المؤمنين: بأن هذا أمر توقيفي، وأنا وجدتها مثبتة في المصحف ، فأثبتها حيث وجدتها.

فقال له عثمان بن عفان -رضي الله عنه-: نحن لا نغير شيئًا من مكانه، كما نزلت وكما أمرنا النبي ﷺ نتركها، فهذا توقيفي، فنحن نقرأ الآية الثانية ولكن لا نعمل بها.

❖ من فوائد بقائها مع أننا لا نعمل بها:

أولًا: نعرف سعة رحمة الله في التدرج في التشريع.

ثانيا: نعرف ونستفيد من هذه الفائدة التربوية من التدرج.

ثالثا: أننا نتعبد لله الآن بقراءة الآية، يعني الآن أنت إذا قرأت الآية المنسوخة فأنت تُؤجر على كل حرفٍ، نعم، فهذه فوائدُ كثيرة، وهناك فوائدُ ربما لا نَعلمها في بقاء هذه الآيات المنسوخة.

❖ آيات القرآن الكريم، من حيث النسخُ :

1) آيات نسخ حكمها ولفظها:

يعني حكمها مرفوع منتهي، وتلاوتها مرفوعة.

﴿لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم﴾

أمثلة هذا النوع نادرة جدًّا، يعني هذا المثال قد يكون الوحيد تقريبًا.

2) آيات نُسخ لفظها وبقي حكمها:

﴿والشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالًا من الله والله عزيز حكيم﴾

(الشيخ والشيخة): المقصود به المحصن والمحصنة، وأشار إلى الشيخ والشيخة، لأنه محصنٌ كبير في السن، وإلا قد يكون رجلا كبيرا في السن، وعمره تسعون سنة وهو أعزب، فإذا وقع هذا الرجل الذي عمره تسعون سنة في الزنى وهو غير محصن فهذا ما يُرجم، وإنما يُجلد.

لكن (الشيخ والشيخة) هنا المقصود بها المحصن والمتزوج والكبير في السن. فهذه حكمها باقٍ ولفظها منسوخ. يعني نحن لا نتلو الآن هذه الآية.

3) آيات رفع حكمها وبقي لفظها

﴿مَّتَاعاً إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ﴾

❖ هل السلف ، الصحابة، التابعون، أتباع التابعين، كانوا يستخدمون مصطلح النسخ بنفس المعنى هذا الذي نتحدث عنه؟

بنفس المعنى الذي نتحدث عنه يعني: (النسخ : رفع حكم متقدم بخطاب شرعي متأخر عنه)

استخدموا لفظ النسخ، لكن لم يريدوا المصطلح الشائع المتأخر عند المتأخرين، فقط ، فهم يريدون بالنسخ: التخصيص، أو يريدون به تقييد المطلق، أو يريدون به بيان المجمل ويريدون به المعنى الذي نريده.

مثال: عندما يقول ابن عباس في قوله –سبحانه وتعالى-: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ [الشعراء: 224]

قال: هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [الشعراء: 227] طيب هي ليست منسوخة، هذا استثناء، فهو يُسمي الاستثناء نسخًا، ويسمي التخصيص نسخًا، ويسمي تقييد المطلق نسخًا.

❖ مسألة: هل النسخ يقعُ في الأخبار ؟

➢ النسخ يقع في الأوامر والنواهي.

مثلًا: (صلوا)، ثم يقول: (لا تصلوا)، يقول: (اعتدي سنة)، ثم يقول: (لا، اعتدي أربعة أشهر وعشر أيام).

➢ لا يقع النسخ في الأخبار المحضة.

مثلًا: يقول الله –سبحانه وتعالى- نوح لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا، ثم يأتي ويقول: لا، نوح لبث في قومه سنتين، هذا لا يسمى نسخًا، هذا ندخل في باب آخر وهو باب الصدق والكذب.

مثلًا: واحد يقول والله أنا قتلت فلان، ثم بعدها يقول: لا، أنا ما قتلت فلان. هذا لا نقول له: هذا نسخ؛ وإنما نقول: هذا كذب في المرة الأولى وصدق في المرة الثانية. وهذا غير موجود في القرآن الكريم.

❖ هل في القرآن الكريم أخبار يدخلها النسخ؟

هناك في القرآن الكريم أخبار ويدخلها النسخ

يقول العلماء: النسخ لا يدخل في الأخبار المحضة، لكن الأخبار التي معناها الإنشاء يدخلها النسخ.

مثال:قوله –سبحانه وتعالى-: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ [البقرة: 233]، هذا خبر، لكن المقصود به الطلب.

المقصود به: لترضع الوالدة ولدها حولين كاملين.

❖ ما الفرق بين الخبر غير المحض و الخبر المحض ؟

الخبر المحض: هو الذي يحتمل الصدق والكذب لذاته.

الخبر غير المحض: الذي يتضمن الطلب، فهو المقصود به الطلب، وليس المقصود به الخبر، ولكنه جاء بصيغة الخبر، كأنه من المسلمات أنه ينبغي الالتزام به كما لو كان خبرًا.

✸ النسخ عند السلف

1) النسخ عند السلف يُقصد به تخصيص العام أحيانًا.

مثال: قوله -سبحانه وتعالى-: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا﴾ [النور: 27]

ثم نسخ واستثنى من ذلك، فقال: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ﴾ [النور: 29].

ففي الآية الأولى: نهى الله -عز وجل- عن دخول بيوت الآخرين قبل الاستئذان، وذلك شامل للفظه لجميع بيوتهم، ثم خص من النهي ما كان من تلك البيوت غير مسكون، فيدخله الإنسان لتحصيل حاجة. فسمى ابن عباس هذا التخصيص نسخًا.

2) النسخ عند السلف يقصد به تقييد المطلق أحيانًا

مثال: قوله -سبحانه وتعالى- : ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَّ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ [آل عمران: 102]

قالوا: نُسخت بقوله تعالى ﴿فَاتَّقُوا اللهَّ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: 16] فأمر الله تعالى بالتقوى كان أمرًا مطلقًا في الآية الأولى، ومقيدًا بالاستطاعة في الآية الثانية، وهذه مسألة مطلق ومقيد، يعني ليست مسألة نسخ، لكن السلف كانوا يسمون ذلك نسخًا.

3) تبيين المجمل، ربما سماه السلف نسخا

مثال قوله- سبحانه وتعالى-: ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللهَّ﴾ [البقرة: 284]

قال أبو هريرة -رضي الله عنه-: لما نزلت على رسول الله ﷺ ﴿للهَِّ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللهَّ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللهَّ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: 284]

قال: فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ فأتوا رسول الله ثم بركوا على الركب، فقالوا: أي رسول الله، كُلِّفنا من الأعمال ما نطيق، الصلاة والصيام والجهاد والصدقة، وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها، قال رسول الله ﷺ: ﴿أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم "سمعنا وعصينا؟" بل قولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير، قالوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير. فلما اقترأها القوم -يعني قرؤوها وحفظوها- ذلت بها ألسنتهم فأنزل الله في إثرها: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهَّ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ..﴾ فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى بقوله: ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللهَّ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ..﴾ قال الرسول ﷺ نعم، ﴿رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ﴾، قال: نعم -أي الله -سبحانه وتعالى- استجاب-، قال: ﴿رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾، قال: نعم..﴾ الحديث.

فهذا الذي نزل من القرآن من وعد الله لعباده المؤمنين بالمغفرة غير منافٍ للمحاسبة لهم عما أسروه لأنَّ المحاسبة لا تعني العذاب، فهذه من أعمال القلوب، وسماها بالرغم من ذلك نسخًا، يعني سمى ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللهَّ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ كأنه نسخ لهذه المحاسبة التي قبله.

❖ مسألة: ثبوت النسخ في الكتاب والسنة

هناك مَن يشكك، يقول: لا نسْخ في القرآن البتة.

قال: لأن النسخ يقتضي جهلا سابقًا، يعني كأن الله كان يجهل ثم علم. وهذا لا يجوز، ولذلك نحن نبطل النسخ جملة وتفصيلًا.

➢ هل النسخ دائمًا يقتضي الجهل؟

قد يكون النسخ لأجل التدرج مثلا في قضية الخمر، فهذه مسألة تربوية، ليس لأن الله يجهل أنه سوف يحرم الخمر، لكنه ليربي الناس، هؤلاء الناس البشر الضعفاء يحتاجون لهذا التدرج، والله أعلم –سبحانه وتعالى- بما يصلح لنا، فيأمرك بأمر حتى يرى أنه قد اشتد عودك، ثم يأمرك بأمر آخر.

فنحن نقول: النسخ واقع في نصوص الوحي.

الدليل 1 على وقوع النسخ في القرآن الكريم

قوله تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ [البقرة: 106]

وهذه الآية برهان صريح على وقوع النسخ في القرآن بمعنى الإزالة والتبديل، وليس في ذلك أي مخالفة.

الدليل 2 على وقوع النسخ في القرآن الكريم

قوله –سبحانه وتعالى-: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: 101]،

الدليل 3 على وقوع النسخ في القرآن الكريم

قوله –سبحانه وتعالى-: ﴿يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الكِتَابِ﴾ [الرعد: 39]، وهذه عامة هذه الآية.

الدليل 4 على وقوع النسخ في القرآن الكريم

قوله –سبحانه وتعالى-: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾ [يونس: 15]

معنى الآية: أنني أبدل ما يوحي الله به إلي، فأنا ما أستطيع أن أبدل من تلقاء نفسي، لكن إذا جاءني التبديل من قِبل الله، فإنني أفعل ذلك.

يقول ابن الجوزي: "انعقد إجماع العلماء على هذا إلا أنه قد شذ من لا يتلفت إليه"

يعني انعقد إجماع العلماء على وقوع النسخ، وثابت في كل شرائع الأنبياء، ولم يشذ إلا بعض الشاذين من بعض اليهود وغيرهم.

✸ الحكمة من النسخ.

1) أن ينزل الحكم فيه مشقة، ثم يُخفف

مثال1: المرأة التي تعتد سنة كاملة، ثم يأتي ويقول لها: اعتدي أربعة أشهر وعشر أيام،فهذا فيه تخفيف

مثال2:التدرج في التشريع، والناس في الجاهلية كانوا في حاجة إلى ذلك، مثل الصلاة، مثل التدرج في تحريم الربا، التدرج في تحريم الخمر.

2) إظهار نعمة الله –سبحانه وتعالى- بما يرفع من الحرج والضيق عن الأمة

مثال: تخفيف العدة .

3) تطييب نفس الرسول ﷺ ونفوس أصحابه في تميز هذه الأمة على سائر الأمم.

مثال: قصة النسخ استقبال القبلة

كان الناس في عهد النبي ﷺ في أول الإسلام يستقبلون بيت المقدس، ثم أصبحت القبلة إلى الكعبة، مكة المكرمة ، والنبي ﷺ والصحابة المهاجرين كانوا من مكة، فلما أمروا باستقبال الكعبة كان هذا أحب إليهم لأنها أصبحت الكعبة هي قبلة المسلمين إلى اليوم وبدل أن كانت القبلة بيت المقدس، واليهود كانوا يستقبلون بيت المقدس، فلما رأوا النبي يستقبل قبلتهم، يعني كان هذا شيئا جيدا بالنسبة لهم ، لكن لما خالفهم وأصبح يستقبل الكعبة أسقط في أيديهم ولذلك قال الله –سبحانه وتعالى-: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَّهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُل للهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾

✸ كتب في النسخ

- من أوسعها: كتاب الشيخ أبي عبيد القاسم بن سلام -رحمه الله- "الناسخ والمنسوخ في كتاب الله" -عز وجل- المتوفى سنة 224.
- كتاب "نواسخ القرآن" لابن الجوزي، من أجود كتب الناسخ والمنسوخ في القرآن، محقق أيضًا ومطبوع.
- كتاب "النسخ في القرآن الكريم" للدكتور مصطفى زيد، من أوسع الكتب.

بعضهم يبالغ فيقول: مائتين آية في القرآن منسوخة.

الصحيح: كما ذكر الشيخ عبد الله الشنقيطي، له كتاب اسمه "الآيات المنسوخة في كتاب الله" اختصرها في تسع آيات فقط، وبعضهم في ست آيات في القرآن الكريم.